نظرا لعدم وجود تنظيم جماهيري يتولى اشراك الشعب ، بطريقة عملية وفعالة ، في تقرير مصيره عند مناقشة الخطوات المقبلة . ولا بد أن يكون لغياب العمل السياسي الجماهيري نصيب مباشر في تضخيم حجم الكارثة عندما وقعت في ٥ يونيه ١٩٦٧ .

أما عن اتجاهات الكاريكاتير المصري ، وفي حدود الالتزام الوطني ، فقد تركز انتاجه في المواضيع السياسية وفي مقدمتها الهجوم على الاستعمار ، باعتباره العدو الأخطر . لهذا كانت رسوم ما قبل النكسة تتجه نحـــو فضح المؤامرات البريطانية في الجنوب العربي ومناصرة قوى التحرر هناك . وبحكم الضرورة ، كان الهجوم يشمل في بعض مواده عددا من الحكام العرب من أعوان الاستعمار ، بكل ضراوة ، الى الدرجة التي أصبحت فيه هذه الرسوم تشكل حملات مركزة ، لفترات من الوقت ، قد تطول او تقصر حسب تغير الظروف . وقد زاد من سخونة هذا الصراع ، التحولات التي بدأت تظهر في مصر بعد ان اتجهت نحو النظام غير الرأسمالي في حل مشاكل التنمية ، لان هذه التحولات تهديد مباشر لمصالح بعض النظم التقليدية التي شعدت عـــن التطور الحديث ، الذي يغمر العالم بعد انتهاء الحرب العالمية الاخيرة ، وخاصة بعـــد نجاح التجارب الاولى في قيام النظم الاشتراكية في دول أخرى غير الاتحاد السوفييتي . ولو ان الكاريكاتير المصري لم يتعرض بأي قدر من العمق في التعبيـــر عن هذا الاتجـــاه ـــ أعوان الاستعمار ـــ وفي كشفه وفضحه الا باعتبارهم قوى متخلفـــة عن مستوى الصراع الوطني فحسب .

كل هذا يتعلق بالجانب الموضوعي في الانتاج الكاريكاتيري ، من تحديد الهدف وبذل الجهد الفكري في التصميم والصياغة . فالثابت بالتجربة أن الفكرة الصادرة عن اقتناع ذاتي أقرب الى التوفيق من التي تتولد بدوافع أخرى خارجة عن ارادة الفنان ، سواء بالايحاء او بدافع المجاملة وارضاء الغير . اذ أن الاولى أصيلة ، أمـــا الثانية فهي استجابة لرغبة بعيدة عن وجدان الرسام .

ولا شك أن المناخ الغريب الذي سبق النكسة ـــ كما سبق أن ذكرنا ـــ كان له تأثير على عملية الاداء التنفيذي للكاريكاتير . وقد يكون مـــن المفيد في هذه المناسبة أن نستعرض مثالا لمجرد القياس والمقارنة حتى يتم التوضيح . والمثال الذي نعرضه هنا يرجع الى منتصف القرن الماضي في فرنسا ، حيث الصراع علـــى أشده بين القوى السياسية حول الحريات . ففي جانب كان يقف الملك « لوي فيليب » ومعه رجال المال والاعمال وكبار ضباط وقادة الجيش والبوليس ورجال الكنيسة ومحترفو السياسة البرجوازيون ، بينما يقف في الجانب الآخر جميع فئات الشعب ومن معهم من رجال السياسة والصحافة . وكان فن الكاريكاتير قد بدأ شبابه في تلك الفترة حيث بدأ يخوض معارك كبيرة وشاملة ، ومن بين الفنانين الرواد في الكاريكاتير كان « أونوريه دومييه » يهاجم أعداء الشعب ويدافع عن الحرية وكانت تتمثل في أعماله حول حرية الصحافة أساسا . وفي سبيل هذا تعرض « دومييه » لكافة ألوان الاضطهاد ، الى حد اعتقال الرسام وسجنه بدعوى أنه نشر رسما لعامل فرنسي يقف متحفزا للدفاع عن قطعة الارض التي يقف عليها والمكتوب فوقها « حرية الصحافة » في شكل قوس يبرز من خلفه الملك ورجاله في حالة من الغيظ الشديد ، وكأنهم يتربصون لينقضوا عليه . ولم يمكن أن يكون اعتقال دومييه الى ما لا نهاية ، فالقوى الشعبية كانت تغلي بالثورة ولهذا أطلق سراح دومييه . فماذا فعل ؟ خرج دومييه لينشر رسمين من روائع انتاجه فكرا وصياغة :

الاول ، رسم مكبسا حديديا من النوع الذي كان وقتها يستخدم في طباعة الرسوم